مقتطفات

من كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي

Un Ms. inconnu d'Ibn Fûty.

— تتمة —

ذكر نقل المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة الى التربة بالرصافة

في ليلة جمعة حادي عشر شعبان ارادوا نقله فهبت ريح منعت من ذلك . فقال جمال الدين ابو الحسن المخرمي ارتجالا :

تحركت الرياح الهوج لما ... اريد بكعبة الجود ارتحالا (١)؟
وقالت من يعلمني سخاء ... اهب به ويغمركم نوالا
فقلت لها : خليفتنا المرجى ... امام العصر فانقلبت شمالا

فنقل في ليلة السبت ثاني عشريه الى موضع كان قد اعده لنفسه مدفنا وبنى عليه قبة . وكانت صورة نقله ان تقدم الى كافة الزعماء ما عدا اصحاب المشاد والى المماليك وكافة مشايخ الربط والصوفية والفقهاء والمدرسين ما عدا مدرسي المستنصرية والنظامية بالتوجه على طريقة مشرعة الرصافة وتقدم الى من عداهم ان يقصدوا دار الخلافة بغير الطريق وان يرفع القضاة والمدرسون الطرحات والعدول الطيالسة وارباب العزر عزرهم واصحاب المشاد مشادهم ويركب الزعماء بالاقبية البيض والسرابيش وارباب الدولة كل واحد منهم بقميص ابيض وبقيار ابيض مسكن وغاشية سمد (؟)(٢) فركبوا وقصدوا دار الوزارة ما عدا مجاهد الدين الدويدار الصغير وعلاء الدين الدويدار الكبير واستاذ الدار مؤيد الدين محمد بن العلقمي . فلما تكمل من عدا هؤلاء في دار الوزارة تقدم اليهم بقصد دار الخلافة والدخول بباب عليان الى صحن (صحن ؟) السلام فمضوا هناك قبل غروب الشمس. واما الوزير ابن الناقد فانه خرج في محفة ودخل من باب الناسي

(١) كذا ورد في المخطوط ولعل الصواب : ارادت كعبة الجود ارتحالا . ل. ع

(٢) الاستفهام في النسخة المهداة ايضا ولم اهتد الى معرفة هاتين الكلمتين .

(؟) [لعلها القائمي] ثم قصد هؤلاء كلهم دجلة فخرج الصندوق الذي فيه الخليفة فلما عاينوه قبلوا الارض واعلنوا بالبكاء . ثم حط في شبارة طويلة يجذف فيها خمسة عشر ملاحا في صدرها قبة مجللة بسجاف اطلس اسود ونزل فيها الشرابي واستاذ الدار وابن دوة المعمار فوقفوا بين الصندوق ولم ينزل الوزير لعجزه عن القيام . ونزل جميع ارباب الدولة والامراء في سفن قياما بين ايديهم شموع كبيرة . فلما وصلوا مشرعة الرصافة رفع الصندوق على الرؤوس وامتد الناس كلهم بين يديه الى التربة فدفن رحمه الله في الموضع الذي اعده ثم فرقت الربعة الشريفة وقرئت ... [هذه النقاط في الاصل المهدى] واهديت له وانصرف الناس قبيل نصف الليل ثم ترددوا الى التربة يوم الاحد ويوم الاثنين [و] في كل يوم تقرأ الختمة ويتكلم « جمال الدين ابو الفرج بن الجوزي » ويدعو العدل شمس الدين علي بن النسابة ونقيب النقباء ونائبه .

في شعبان تقدم الى « جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي » ان يجلس بالوعظ بباب بدر ورتب العدل شمس الدين علي بن النيار شيخا لرباط الحريم .

سنة ٦٤١ (١٢٤٣ م) فيها تقدم الخليفة الى « جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي » المحتسب ...

وفيها نفذ « محيي الدين يوسف بن الجوزي » رسولا الى ملك الروم كيخسرو بن كيقباذ فاجتمع به في انطاكية فلما عاد حكى اشياء غريبة منها ان النساء يتعممن كالرجال والرجال يلبسون السراقوجات ...

سنة ٦٤٢ (١٢٤٤ م] في هذه السنة سير الملك الصالح ايوب ... عسكرا الى مدينة دمشق فنزلوا عليها ... وكان الملك الصالح اسمعيل ... صاحب دمشق فيها فضج ... فراسل ابن عمه الملك الصالح ايوب ... فاسفرت القاعدة على ان ينفرد الملك الصالح اسمعيل بملك باعلبك « بعلبك » ويمضي باهله اليها فاجاب الى ذلك وخرج ليلا وارسل الملك الصالح ايوب الى الخليفة عبد الرحمن ابن عصرون يخبره بذلك فارسل الخليفة اليه التقليد والخلع مع « جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي » الواعظ مدرس الحنابلة بالمدرسة المستنصرية فتوجه ابن

عصرون صحبته .

سنة ٦٤٤ (١٢٤٦ م) وفيها وقع الشروع في عمارة مستاة دار على شاطىء دجلة في بستان الصراة المنتقل الى الخليفة من البهلوان ابن الامير فلك الدين محمد بن ستقر وتولى العمل في ذلك استاذ الدار «محيي الدين يوسف بن الجوزي» فسأل في بعض الايام المشاهر عن اسمه فقال : « خالد » فقال :

نظرت الى الخلد الشريف بفكرتي فبشرني ان الخليفة خالد
اذ الاسم معناه الخلود حقيقة واكده اسم المشاهر خالد

سنة ٦٤٥ (١٢٤٧م) فيها احضر مدرسو المستنصرية الى دار الوزير وتقدم اليهم ان لا يذكروا شيئا من تصانيفهم ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها بل يذكروا كلام المشايخ تأدبا معهم وتبركا بهم واجاب «جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي » مدرس الحنابلة بالسمع والطاعة ...

سنة ٦٥٣ (١٢٥٥ م) ذكر ولاية « ابن الجوزي » استاذ الدار . في تاسع ربيع الاول مضى صلاح الدين عمر بن جلدك الى « محيي الدين يوسف بن الجوزي » وهو في منزله بباب الازج فاستدعاه فركب — وقد رفع الطرحة — الى الدار المقابلة لباب الفردوس المرسومة بسكنى الاستاذ دارية واجلسه في المنصب من غير ان يخلع عليه وشافهه بالولاية ودخل الناس اليه مهنئين له وركب من الغد في جمع عظيم الى دار الوزير فجلس عند مؤيد الدين نائب الوزارة ساعة ثم عاد الى داره .

وفيها رتب « جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي » مدرسا لطائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية وخلع عليه واعطي بغلة وتقدم الى صاحب الديوان فخر الدين بن المخرمي وجميع ارباب المناصب بالحضور الى المدرسة فحضروا ورتب « اخوه شرف الدين عبدالله » محتسبا عليه . وخلع عليه من غير ان يشهد عند القاضي . ولم يعلم ان محتسبا تولى غير شاهد سواه .

وقد نظم عز الدين ابو الحسن علي ابن اسامة العلوي قصيدة يهنيء بها استاذ الدار مما تجدد لولديه . يقول فيها :

مولاي «محيي الدين» يامولى به كل البرية في الحقيقة يقتدي

أنت المهنا بالذي قد خول «ولداك» امنفس العلى والسؤدد
وهل البشارة للمراتب والذي ولياء ام لك يا كريم المحتد
قد قلت حين رأيت كلا منكما كالبدر في جنح الظلام الاسود
هذان ما خطبا المراتب انما خطبتهما المناقب لم تجحد (؟) (٣)
وهما من القوم الالى خدماتهم شرفا تصير لسيد عن سيد
ولانت مولانا المليك من الورى وهما احق بمسند ومسند
انتم لدين محمد شيدتم علما به وكذاك مذهب احمد
فالله يجزي الخير كلا منكم عن احمد وعن النبي محمد
وكذاك يرعاكم بعين عناية ويمدكم منه بعمر سرمد

سنة ٦٥٣ (١٢٥٥ م) وفيها فتحت المدرسة البشيرية بالجانب الغربي من بغداد وتجاه قطفتا التي امرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم ام ولده ابي نصر المعروفة بباب بشير وجعلتها وقفا على المذاهب الاربعة على قاعدة المدرسة المستنصرية ووقفت عليها وقوفا كثيرة قبل فراغها . وكان فتحها يوم الخميس ثالث عشري جمادى الاخرة وحضر الخليفة واولاده فجلسوا في وسطها وحضر الوزير وارباب المناصب ومشايخ الربط والمدرسون وكان المدرس بها سراج الدين النهرقلي اقضى القضاة «وشرف الدين عبدالله بن استاذ الدار محيي الدين بن الجوزي» ونور الدين محمد بن العربي الخوارزمي الحنفي وعلم الدين احمد بن الشرمساحي المالكي . وعملت وظيفة عظيمة وخلع على المدرسين المذكورين وعلى الناظر بها ونواب العمارة والفراشين وخدم القبة وانشدت الاشعار وكان يوما مشهودا . وكانت وفاة البشيرية في السنة الماضية على ما ذكرنا .

سنة ٦٥٦ [١٢٥٨ م] ... ثم عين على بعض الامراء فدخل [هولاكو] بغداد ومعه جماعة ونائب استاذ الدار « ابن الجوزي » وجاؤوا الى اعمام الخليفة وانسابه الذين كانوا في دار الصغر (؟) ودار الشجرة فكانوا يطلبون واحدا بعد آخر فيخرج باولاده وجواريه فيحمل الى مقبرة الخلال التي تجاه المنظرة فيقتل

(٣) كذا في الاصل المخطوط ولعل الصواب : خطبت مناقب منها لم تجحد . ل.ع

فقتلوا جميعهم عن آخرهم. ثم قتل مجاهدالدين ايبك الدويدار الصغير وامير الحاج فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير وشهاب الدين سليمان شاه بن برجم وفلك الدين محمد بن قيران الظاهري وقطب الدين سنجر البكلكي — الذي كان شحنة بغداد وحج بالناس عدة سنين — وعز الدين ابقرا شحنة بغداد ايضا « ومحيي الدين ابن الجوزي استاذ الدار وولده جمال الدين عبدالرحمن واخوه شرف الدين عبدالله (٤) واخوه تاج الدين عبد الكريم » وشيخ الشيوخ صدر الدين علي بن النيار وشرف الدين عبدالله ابن اخيه وبهاء الدين داود ابن المختار والنقيب الطاهر شمس الدين علي بن المختار وشرف الدين محمد بن طاووس وتقي الدين عبدالرحمن ابن الطيال وكيل الخليفة .

وامر بحمل راس الدويدار وابن الدويدار الكبير وسليمان شاه الى الموصل فحملت وعلقت بظاهر سور البلد ووضع السيف في اهل بغداد يوم الاثنين خامس صفر وما زالوا في قتل ونهب واسر وتعذيب الناس بانواع العذاب واستخراج الاموال منهم باليم العقاب مدة اربعين يوما فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والاطفال . فلم يبق من اهل البلد ومن التجأ اليهم من اهل السواد إلّا القليل ما عدا النصارى فانهم عين لهم شحاني حرسوا بيوتهم والتجأ اليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم . وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون الى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل على امراء المغول وكتب لهم فرامين فلما فتحت بغداد خرجوا الى الامراء وعادوا [و] معهم من يحرس بيوتهم . والتجأ ايضا اليهم جماعة من جيرانهم وغيرهم فسلموا وكذلك دار الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي — فانه سلم بها خلق كثير — ودار صاحب الديوان ابن الدامغاني

(٤) جاء في جامع التواريخ بالفارسية تاليف رشيد الدين فضل الله الوزير المقتول في سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) طبع باريس لكاترمير مع ترجمة فرنسية ص ٣١٠ — ٣١١ His. des Mongols de la Perse, par Rashid ed-dîn, pub. avec traduction et notes par M. Quatremère. Paris, 1836. ما ملخصه معربا عن الفرنسية: وانفذهولاكو بوقا تيمور الى الحلة والكوفة وواسط فقدم الى الحلة ثم غادرها في اليوم العاشر من صفر [٦٥٦ هـ] متوجها نحو واسط فوصلها في اليوم السابع عشر منه ومن هناك شخص الى خوزستان ومعه شرف الدين ابن الجوزي فالرواية مختلفة .

ودار صاحب الباب ابن الدوامي . وما عدا هذه الاماكن فانه لم يسلم فيه احد إلّا من كان في الآبار والقنوات . واحرق معظم البلد وجامع الخليفة وما يجاوره . واستولى الخراب على البلد وكانت القتلى في الدروب والاسواق كالتلول ووقعت الامطار عليهم ووطئتهم الخيول فاستحالت صورتهم وصاروا عبرة لمن يرى .

ثم نودي بالامان فخرج من تخلف وقد تغيرت الوانهم وذهلت عقولهم لما شاهدوا من الاهوال التي لا يعبر عنها باسان وهم كالموتى اذا خرجوا من القبور يوم النشور من الخوف والجوع والبرد .

واما اهل الحلة والكوفة فانهم انتزحوا الى البطائح باولادهم وما قدروا عليه من اموالهم وحضر اكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين ابن طاووس العلوي الى حضرة السلطان وسألوا حقن دمائهم فاجاب سؤالهم وعين لهم شحنة فعادوا الى بلادهم وارسلوا الى من في البطائح من الناس يعرفونهم ذلك فحضروا باهلهم واموالهم وجمعوا مالا عظيما وحملوه الى السلطان فتصدق عليهم بنفوسهم . اه

نتيجة بحثي

ويبين لنا مما ذكر ان مولف كتاب مناقب بغداد هو — على الارجح — ابو الفرج ، عبدالرحمن ، جمال الدين بن محيي الدين ، يوسف ، ابي محمد بن ابي الفرج عبدالرحمن ، جمال الدين ، ابن الجوزي وقد قتل المؤلف في بغداد على ما رأينا .

ان الشواهد التي اتيت بها بقصد تعريف ابن الجوزي مصنف المناقب وما اتيت بغير ذلك جاءت نموذجا من الكتاب الذي ارتأى عنه الاثري في نقده « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق » لغنيمة ما قوله بحرفه :

« ومما يؤخذ عليه [على غنيمة] ايضا انه نقل في مواضيع عديدة حكايات مزخرفة باوية عليها امارات الوضع عن كتاب مخطوط لمؤلف مجهول واسمه « تاريخ العراق في عهد المغول » ولا نعرف كيف جاز له الاعتماد عليه وهو لا يعرف مؤلفه » . اه (مجلة الحرية البغدادية ٢ [١٩٢٥] : ٢٨٨)

وبعد ان شك الاثري في ان المناقب لغير ابن الجوزي المتوفى في سنة ٥٩٧ هـ وجاء في تضاعيف الكتاب ما لا يقبله العقل من امر عدد الحمامات فليسمح لي

ان اقول : اني لا اظن ان هناك مانعا من الاعتماد على هذا المخطوط الفذ وقد نقل عنه من رآه من الكتاب وفيهم احمد تيمور باشا . وقد اكون مخطئا في ظني فللاهل التدقيق والتمحيص البت في منزلة الكتاب بعد وقوفهم على المنشور منه هنا وفي المجلات التي ذكرتها ولاسيما بعد ان بان انه لابن الفوطي على الارجح وقد قال صاحب فوات الوفيات عنه « الشيخ الامام المحدث المؤرخ ... » وفي الكلمة التي يقولها المتتبعون يخدمون التاريخ والحقيقة وهما الغاية المتوخاة .

بغداد : ٢٥ ايار سنة ١٩٢٧ يعقوب نعوم سركيس

الوفاء الحي

من نظم الدكتور ابي شادي

مرثية تلحينية لسان الجنان سعد باشا نظمت لتنشدها المطربة ملك

مجد (سعد) ما تناهت في معالات دولته
عاش في خلد وعاشت في وفاء امته

(سعد) روح سوف يبقى في العصور الابديه
ينشر الحب ويرقى بالنفوس البشريه
كلما نشدو به كلنا نبكي عليه
العلى من دأبه والندى من راحتيه
كلنا تكوين (سعد) في ثبات وأمل
اي مجد غير مجد يلهم الناس العمل ؟ !
عاش نبراسا عظيما ومثالا للابوه
كان بالروح كريما كان في خلق النبوه !
في سبيل (النيل) ضحى في سبيل الحق عانى
واهبا (للنيل) سمحا عمره المحسود شانا
أنديه يامعالي قدسيه يا (فنون)
كل مجد وغال حين ينساه يهون
وهو حي ليس ينسى!